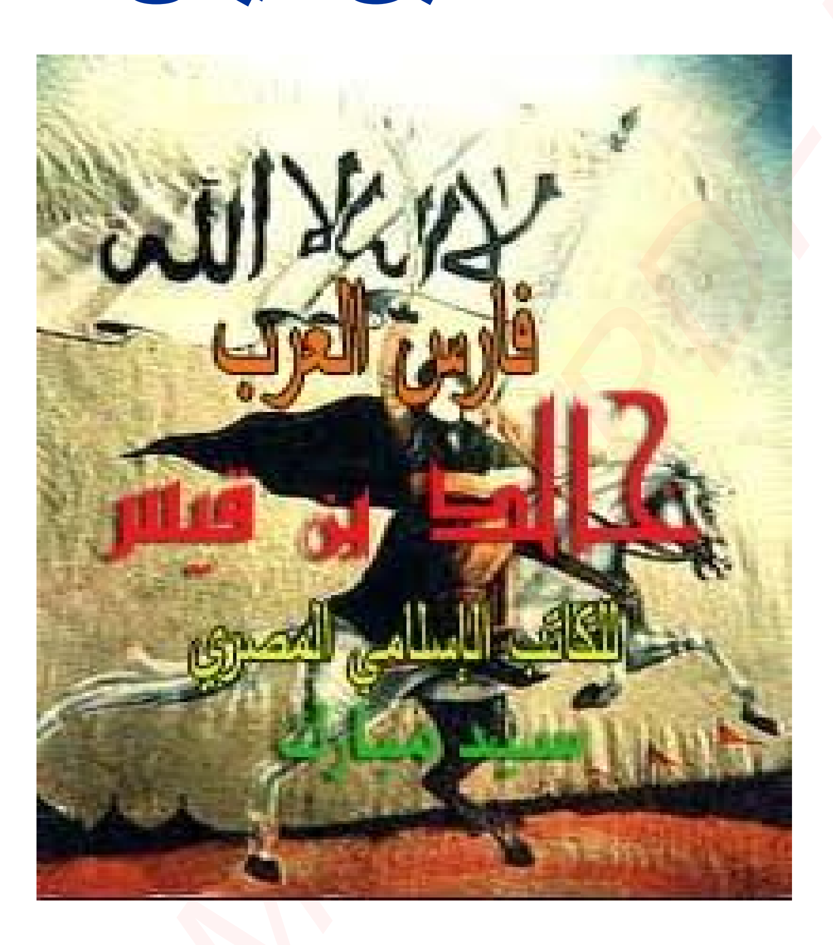
فارس العرب

" خالد بن قيس"



تنبيه هام للقاريء الكريم

****

هذه القصة تعتبرالجزء الثاني لقصة"فتى من قريش" وأحداثها ووقائعها تدور في عصر النبوة بعد الهجرة للمدينة مع الالتزام بالسياق التاريخي وصحيح السيرة فيما يخص النبي -صلي الله عليه وسلم- وأصحابه الكرام-رضي الله عنهم أجمعين-أما أبطال القصة فهم شخصيات وهمية من أبداع المؤلف لسرد الأحداث ووقائعها كما حدثت ليتعلم أبنائنا تاريخهم الإسلامي.

في رحاب الهجرة

هاجر آل قيس ([1]) إلي مدينة رسول الله–صلي الله عليه وسلم–فراراً بالدين تاركين المال والديار والعشيرة.

وكان قيس بن رباح فرحاً بإخوانه المهاجرين واسعد النا س بكرم إخوانه من الأنصار وكان في ذلك تعزية له بترك عمله الذي اشتهر به وهو صناعة السيوف وعدة القتال ولكن ما المانع أن يبدا من جديد فالسلاح كالطعام والشراب لأي أمة تدافع عن هويتها وعقيدتها من المفسدين في الأرض .

ولكن حمداً لله علي تمكينه من الهجرة بالفرار والنجاة هو وزوجته وأبنه "خالد" دون أن يتعرضوا لبطش قريش وزعمائها وسفهائها غلاظ القلوب حتي وصلوا في رعاية الله للمدينة المنورة.

وبدأت حياة جديدة تدب في المدينة ..

حياة قائمة علي الإيمان بالله الواحد الاحد وتنتظر الرسول الكريم ليضع لهم أطارها ومبادئها واخلاقها ويبين لهم مايرضي ربه ويحبه ليفعلوه ومايسخطه ويكره ليتركوه.

ولكن متي يأتي الرسول الكريم –صلي الله عليه وسلم– لتكتمل الفرحة كان هذا هو السؤال الذي لا يعلم أحد اجابته ولكن لم يفقدوا الأمل البتة، ويخرجون في الساعات الباكرة الي ظاهر المدينة وينتظرون رؤيته يوماً بعد يوم

وقلوبهم تشتاق بشغف لرؤيته وأستضافته وحمايته بأنفسهم وأموالهم وأهاليهم و لم لا..

وقد بايعوه مرتين عندما أجتمع سادتهم مثل عبادة بن الصامت –رضي الله عنه –به في بيعة العقبة الاولي كما ذكر هو بنفسه فقال"

بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في رهط فقال أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فأخذ به في الدنيا فهو كفارة له وطهور ومن ستره الله فذلك إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له"

[1] - راجع بداية هذه القصة ما نشر للكاتب بعنوان" فتي من قريش"

وأرسل رسول الله-صلي الله عليه وسلم- معهم سيدنا "مصعب ابن عمير"أول سفير في الإسلام وأول داعية إلي الله تعالي.

وكان سيدنا مصعب بحق داعية من طراز فريد أستطاع بحسن خلقه وحكمته أن يحببهم في الدين الجديد حتي كثر عددهم.. وفي البيعة الثانية التقي بهم النبي-صلي الله عليه وسلم- بعد حجهم لبيت الله الحرام وزاد عددهم لبضع وسبعون رجلاً وامرأة يبايعونه علي السمع والطاعة ونصرة الدين والدفاع عنه ووعدهم الرسول أن فعلوا ذلك بأن لهم الجنة

وكانت هذه المبايعة هي البداية العظيمة لقصة الهجرة..

التي سطرها المهاجرين تاركين الأهل والديار والعشيرة

من أجل ماذا؟

من أجل حياة جديدة وأمل جديد ليس للمهاجرين فقط بل للأنصار أيضا و لم يكن يدر في خلد أحد أن هذه الهجرة بداية عصر جديد للبشرية جمعاء

عصر الدين الوليد دين الإسلام. دين التوحيد. دين العزة والكرامة الإنسانية التي جعل لحياة الإنسان الهمجية التي كان يحياها في الكفر والشرك والجهل وعبادة غيره من البشر والحيوانات والأصنام وغير ذلك لعبادة رب باري حكيم سميع بصير خالق وهاب ليس كمثله شيء

ولا عجب أن أختار الله هذا الدين الوليد وجعله الدين الحق فقال عز وجل(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)-آل عمران(١٩)

وكان أختياره-عز وجل-للإسلام ختماً للرسالة والنبوة لأن الدين قد أكتمل للبشر بالإسلام..

وكان هذا يغيظ اليهود بشدة في المدينة وعلي راسهم زعيمهم عبد الله بن أبي بن سلول الذي كادوا يجعلونه ملكاً على أنفسهم لولا ظهور رسول الله-صلي الله عليه وسلم- ومبايعته.

وقد كانوا يترقبون رسول منهم فهم شعب الله المختار ولكن خاب ظنهم وآملهم وكان نبينا هو الرسول الخاتم، وزاد ذلك من حنقهم وعداوتهم للمسلمين .

ولكن من خبثهم وسوء طويتهم كتموا ذلك في نفاق ظاهر إلي حين

ولكنهم كانوا قلة فلم يهابهم المسلمون وأن كانوا يحذرون شرهم.

دار ذلك كله في ذهن خالد بن قيس.

بل في ذهن الكثير من المهاجرين بعد أن ظلوا فترة طويلة في ضيافة إخوانهم من الأنصار.

علي أمل أن يأتي الخبر بهجرة الرسول الكريم لينظم حياتهم التي لم تستقر يوما من الأيام بسبب حمية الجاهلية التي اهلكتهم بالحروب وأنهكتهم جميعا.

وكانوا يخرجون منذ الساعات الباكرة إلي ظاهر المدينة ينتظرون رؤيته..

يوماً بعد يوم .

وشهراً بعد شهر.

علي أمل في حياة جديدة يأملونها.

حياة يحض عليها هذا الدين الجديد الوليد.

دين أخذ بلب الرجال والنساء والكبير والصغير.

وكان "خالد بن قيس" كغيره ينتظر هجرت النبي بل وخططت أن يلزمه بأي ثمن ليتعلم منه دينه عن قرب، لقد باع نفسه لله تعالي دفاعا عن عقيدته ونبيه–صلي الله عليه وسلم– لكن متي وكيف هو لا يدري حقاً ؟.

يكفي الآن النية و ليصبر ولا يستعجل الوسيلة وسوف تأتيه بمشيئة الله تعالي فهو القائل((وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (١١٥))

****

أخذ الجميع يترقب بشغف رؤية الهادي البشير الذي لم يهاجر حتي يهاجر المؤمنين بدعوته وينتظر أمر الله له بالهجرة وانظارهم تنظر للأفق بلهفة تحت لهيب الشمس الحارقة بل كلل أو ملل .

وتمر الأيام والليالي في الانتظار والترقب.

وزاد الأمل بالأخبار التي تأتي من مكة بخروج الرسول مهاجرا مع الصديق "أبو بكر بن أبي قحافة" –رضي الله عنه.

وأخيرا جاء البشير يصيح ها هو صاحبكم قد أتي وكان ذلك يوم الاثنين حين اشتد الضحى لاثني عشرة خلت من ربيع الأول.

وتنفس الجميع الصعداء وخرجوا علي بكرة أبيهم لاستقبال رسول الله–صلي الله عليه وسلم–وقد أرتجت الطرقات والبيوت بالتسبيح والتكبير والتحميد والكل يطلب استضافته وتشريف رسول الله عنده في بيته وأخذت الأيادي تمسك بلجام ناقته وهو–صلي الله عليه وسلم– يقول لهم في حلم وتواضع :"خلوا سبيلها فأنها مأمورة" حتي توقفت أمام دار "أبو أيوب الأنصاري"–رضي الله عنه –الذي نال شرف استضافة رسول الله في مترله

وكان يوما مشهودا لاينسي.

وكان خالد ينتظر حتي يحقق مآربه في خدمة رسول الله بعد أن يستريح من عناء الهجرة .

وقلبه يتطلع لرؤيته عن قرب.

بناء المسجد النبوي والمؤاخاة

لم يستريح النبي بل سارع بدعوة الجميع لبناء المسجد.

الجميع يشارك وكان "خالد "مع والده "قيس بن رباح" يحملون الحجارة وهم ينشدوا مع إخوانهم المسلمين

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ...... فاغفر للأنصار والمهاجرة

وكان النبي الكريم –صلي الله عليه وسلم–بتواضعه ينشد معهم فيزيد ذلك من نشاطهم وحماسهم حتي أنتهي بناءه المسجد سريعا في زمن قياسي.

وكانت ملحمة رائعة مثمرة وتنفس الجميع الصعداء.

وتوافدوا للصلاة خلف رسول الله–صلي الله عليه وسلم– ولم يكن المسجد للصلاة فقط بل كان للتعليم والتشاور والتلاحم بين المسلمين .

وكان "خالد" يذهب للمسجد ويستمع ويعي كغيره الوصايا لحكيمة التي يوحي الله به رسوله–صلي الله عليه وسلم–فينطق بالحق وفمه تخرج منه كلمات غاية في الجمال والبهاء فيها جوامع الكلم وحفظ من ذلك قوله: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ([٢])

وقوله: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ([٣])

---

[٢] – أخرجه البخاري ح/١٢– باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه

[٣] –أخرجه مسلم ح/ ٤٦٨٤– باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم

وقوله: (لا تباغضوا، ولا تحاسدون، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام)[٤] وغير ذلك من تعاليم سامية تحض علي الإيثار والتكافل والمحبة والتعاون.

حقا ما أعظم هذا الدين، وما أعظم تعاليمه وسامحته أن من الغباء والجهل أنا يبتغي المرء دينا غيره.

الحمد الله ..الحمد لله علي نعمته وكرمه

قالها "خالد" من أعماق قلبه، وبقدر سعادته بالقرب من رسول الله وسماعه ورؤيته بلا خوف أو تهديد أو أذي يناله وأسرته من المشركين بعد هجرتهم للمدينة، بقدر حزنه عندما علم أن أم سليم الانصارية–رضي الله عنها– قد وهبت أبنها "أنس بن مالك"–رضي الله عنه–لخدمة رسول الله –صلي الله عليه وسلم – وقد كان خالد يمني نفسه أن يخبر أبيه عندما تحين اللحظة المناسبة ليذهب معه للنبي–صلي الله عليه وسلم– ولكن الآن فات الآوان.

ولكنه النصيب قالها خالد برضا ثم أردف قائلا : الحمد لله علي كل حال وكفي بالنية الخالصة ثوابا عند الله تعالي ،وزادت سعادته عندما علم بأن النبي جمع المهاجرين والانصار وطلب المؤاخاة بينهم.

وكان الجميع عند حسن الظن بهم لإخلاصهم وتفانيهم فأخي النبي–صلي الله عليه وسلم– بين سعد بن الربيع الأنصاري وبين عبد الحمن بن عوف من المهاجرين– رضي اللله عنهما – و كذلك فعل مع الكثير

وكم كانت سعادته وسعادة ابيه وأمه عندما طلب رجلاً كريما من المهاجرين وهو"الوليد بن الحكم" وأسرته الصغيرة التي تتكون من شاب في مثل سنه اسمه "أنس" وأبنة تصغر أخيها بعامين اسمها "شيماء" أما زوجته فقد ماتت منذ زمن طويل ، وطلب الوليد من قيس وأسرته أن يشاركوهم في السراء والضراء حتي ييسر الله لهم أمر المسكن وقد كان.

وبدأت حياتهم تتخذ منحني جديد.

مع أخوة وصحبة لهم في الدين والدار.

****

٤ – أخرجه البخاري ح/ ٥٦٠٥– باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر

كانت دار "الوليد بن الحكم" من دورين مبني بالحجارة والطين وواسعة رحبة وخير بتواضعه الجم "قيس بن رباح" أن يختار الدور الذي يري فيه راحته هو وأسرته فاختار الدور الأرضي وأستأذنه أن يجعل حجرة من حجراته مكانا لعمله ويعزلها عن الدار بباب خاص ليعمل بها ويصنع السيوف حتي لايفقد مهارته ولتكون مصدر دخل له ولأسرته فأذن له أن يفعل ما يشاء.

وبدأ عمله وساعده خالد وأنس بن الوليد اللذين تطورت العلاقة بينهما لصداقة ومحبة عظيمة في الله ولله تعالي فضلا عن الجوار في بيت واحد و لم لا.

وقد كان خالد عند ما أمن بدعوة النبي صلي الله عليه وسلم- بعد أن جاهر بها للناس بعد ثلاث سنوات يدعوهم سراً عمره يومها "عشر سنوات" وظل عشر سنوات كاملة قبل الهجرة يكتم هو وأسرته إسلامهم في خوف وترقب من أفتضاح أمرهم حتي أمر النبي بالهجرة فعمره الآن عشرون سنة وبضع شهور وهو نفس عمر أنس تقريبا.

وكان أنس يقول لخالد: مازحاً سوف اتعلم صنعة ولدك لاصنع بنفسي السيف الذي أقتل به أعداء الله ورسوله.

يبتسم قيس ويقول: دعني اساعدك لنصنع سيفك وسيفي فليس الأمر هين كما تظن يااخي وسيفي سيكون مميزاُ أن شاء الله

قال أنس: ضاحكاً: وماذا عن سيفي هل سيكون مميزا أيضا

ضحك خالد ملء شدقيه وهو يقول: و لم لا ولكننا لم نعد في حرب فنحن هنا في أمان وسلام..و

وارتفع صوت قيس بن رباح عاليا في رنة عتاب :هذا وقت العمل يا فتيان وليس وقت التفاخر ساعدوني كرجال في الانتهاء من هذين السيفين الذي أجتهد بكل خبرتي طوال هذه السنين في تصنيعهما بخامات صلبة قوية حتي أن كل فرسان العرب لو راوهما لحسدوا أصحابهما. هيا وكفي جدالا ولعبا كالأطفال

بادر أنس بالاعتذار وهو يقول: أسف ياعماه ماذا تطلب مني؟

قال قيس بحدة وموجهاً حديثه لخالد: تظن أننا أصبحنا في أمان وسلام وأن القتال لعبة وتتحدثان عن السيوف والقتل ألم تعلم أنه من أراد السلم فليستعد للحرب والسلاح بيد المسلم ليس للتعدي أبداً، وإنما هو وقاية له.

قال خالد: نعم ياابتاه أنت علي حق ولقد جرفنا الحماس قليلًا .

تنهد قيس ثم تغيرت رنة صوته وقال وهو يبتسم لهما مشجعاً: حسناً. أمسك هذا السيف يا أنس وأنت يا خالد خذ السيف الثاني وأمسحا عليهما ما أصابهما من غبار ومواد خلال التصنيع واحذرا فأنهما حاميان ومن الفولاذ اليمانية العتيقة.

كان السيفان غاية في الجمال وقد أخذا بلبهما ،وأدرك هذا "قيس بن رباح" وهو ينظر لهما وكان منظرهما بحق وهما يحملان السيفان كفارسين حقيقيين فقال وقد لاحظ انبهارهما: ماذا تنتظران لا وقت عندنا فهناك الكثير من السيوف والرماح والسهام تنتظر دورها في التصنيع والمحاربين يستعجلونني انا وغيري من الصناع لأتمامها في أسرع وقت أننا علي حافة حرب للدفاع عن ديننا الذي ضحينا من أجله بالغالي والنفيس وتركنا الاهل والديار والعشيرة

قال خالد: نعم يا أبتاه ولكن من هما سعداء الحظ اصحاب هذين السيفين،اقترب قيس منهما ووضع يد علي كتف "خالد" والأخري علي كتف أنس وهو يقول لهما: ماكنت لابدأ بصناعة السيوف إلا بعد تصنيع سيفين وضعت فيهما كل جهدي وخبرتي لأحب فارسان إلي قلبي .

ثم أردف قائلاً :وهما أنتما الاثنين فأني أري فيكما مستقبل الإسلام وشبابه.

تساقطت الدموع من عينهما وكل منهما ينظر للسيف نظرة حب وشغف ،ولكن قيس لم يمهل للعواطف أن تعطله أكثر من ذلك .. وقال في صرامة: هيا فالوقت كالسيف أن لم تقطعه قطعك وبدأ الجميع يعمل بكل جهد وتفاني .

حي علي الجهاد

مرت علي الهجرة النبوية سنة كاملة وفي السنة الثانية وبالتحديد في بداية شهر رمضان المبارك كانت الأمور قد استقرت بقيس وأسرته ورأي قيس بعد أن عرف القاصي والداني بمهارته ومتانة عدة الحرب التي يصنعها وباع منها الكثير حتي صار عنده مالاً كثيرا فأراد أن

يستقل في مترل خاص يبنيه له ولأسرته ويجعل فيه مكانا ارحب وأوسع لعمله فهو في حاجة لعمال يساعدونه فقد كبر ابنه خالد وبلغ عشرون عاماً وبدا مرحلة الشباب وفحولته ويعلم مدي شغفه باعمال الفروسية فلم يرد له أن يستمر معه في عمله الشاق حتي لا يرهقه ويمنعه التزامه في تعلم القتال لينال شرف الانضمام لفرسان الإسلام للدفاع عن الدين.

وقد صارح أخيه في الله "الوليد بن الحكم" الذي جمعت بينهما صداقة حميمة كما جمعت بين خالد وأنس برغبته تلك ولكنه عارضه واستحلفه بالله أن يصرف النظر عن التفكير في ذلك وذكره بأن بيته واسع ولايضره وجوده البتة.

فقال له قيس في امتنان: أعلم جزاك الله خيرا ولكني لا افكر في نفسي بل في مستقبل أبني خالد فكما تري صار شابا يافعا وربما يريد الزواج ومكان ليستقر فيه وكذلك ليجد مكان ليعمل فيه ويكسب رزقه ويكمل مسيرتي هو وأبنائه فكما تعلم هذه المهنة رابحة ورائجة

قال الوليد: نعم أنك علي حق .

قال قيس بتردد وحياء: وكنت أريد أن..ولكني أستحي منك.

قال الوليد :تكلم يا أخي ولاتستحي اتريد مالاً خذ نصف مالي أن شئت

قال قيس مقاطعاً :لا أقصد هذا بارك الله في مالك وأنما أردت وأخشي أن تظن أني جشع واستغلك..و

قاطعه الوليد بحدة: أسمع ياقيس دعك من التمهيد وصدقني أنا لا أظن بك إلا كل خير ومهما كان طلبك وكان في استطاعتي فأني موافق عليه..و ماهذا؟

أشار لرجل يركب جواده وينادي بأعلي صوته . من يتطوع لتلبية أمر رسول الله –صلي الله عليه وسلم

قال الكثير من الناس: سمعا وطاعة لرسول الله ما الأمر يا رجل.

قال الرجل: يطلب رسول الله بعض المتطوعين المحاربين لاعتراض قافلة تجارية قادمة من الشام لقريش بقيادة أبى سفيان فهل من مجيب؟

نظر قيس والوليد بعضهما لبعض وقال: الوليد بن الحكم: هل تفكر فيما افكر فيه يا أخي

قال قيس: وعلي شفتيه أبتسامة تتسع حتي برزت ثنياه وهو يقول ضاحكاً:كالعادة كما خرجنا من قبل في السرايا والغزوات السابقة أنها لنا كنزهة يسيرة لناخذ بعض ماسلبوه منا أنا وأخواني من المهاجرين من أموال ومتاع بسبب خروجنا وهجرتنا من مكة للمدينة حتي لا يقتلوننا أو يردوننا عن ديننا ولنكمل حديثنا بعد العودة أن شاء الله.

قال الوليد: نعم هيا بنا نجهز راحلنا والمؤون التي نحتاجها ونودع أهلينا ونوصي أبنائنا خيراً، ولكن بالمناسبة لم تخبرني بما تريد مني؟

قال قيس ضاحكا: لعل الأوان غير مناسب و.

فأوقفه الوليد ونظر لعينيه نظرة حب وهو يردف: بل الوقت مناسب تماما لعلنا نفترق فلا تدري نفس متي تموت،أخبرني بالله عليك ياقيس

قال قي:حسنا. رويدك يأخي كنت أتمني أن توافق أن عدنا من المعركة بسلامة الله علي زواج ابني خالد من أبنتك شيماء تعلم أن أبنائنا قد كبروا وكما قلت أخشي أن تظن أني أستغل ضيافتك وجوارك..و

قال الوليد : كفي فهذا الذي تطلبه شرف لي وأن لم تفعل فقد كانت نيتي أن أطلب منك أن ترضي بذلك فخالد شابا قويا خلوق ولو رأيت أنس يروي لأخته ولي عن شهامته وصلابته وقوة إيمانه ومدي اعتزازه بصحبتكم ماكنت لتتردد قيد أنملة في الموافقة لأتمام هذه الزيجة المباركة.ثم تنهد بقوة وهو يقول:

ولكني أوافقك فالوقت الآن غير مناسب لنبشر الجميع بهذا الخبر السار ولنجعل ذلك بعد رجوعنا أن شاء الله.

****

ثلثمائة وبضع عشرة رجلا من المسلمين لم يكن معهم إلا فرسان فرس الزبير بن العوام وفرس المقداد بن الأسود-رضي الله عنهما-خرجوا تلبية لأمر الرسول الذي لم يجبر أحد علي الخروج لأنه لم يتوقع قتالا ولكن أبو سفيان شعر بهم وخاف علي القافلة وحمولتها فأرسل رسولا إلى قريش يخبرها بأن محمد سيقطع الطريق لأخذ أموالهم و غنائمهم ، فخرجت قريش ورجالها سريعا فى ألف مقاتل لقتال المسلمين وإنقاذ القافلة و لم يكن المسلمين يتوقعون هذا الأمر.

ظنوا أن المعركة ستكون بسيطة مع قافلة أبي سفيان وينتهي الامر ككل مرة ولكنه طلب المساعدة وشق ذلك علي المسلمين لعدم استعداهم لمعركة مصيرية كتلك هذا من جهة ولقلة عددهم بالنسبة للمشركين من جهة أخري .

و لم يغب هذا علي النبي –صلي الله عليه وسلم–وأحاط علما بخروج قريش وأدرك خطورة الأمر و لم يكن للمسلمين إلا الاختيار بين أمرين.

الرجوع للمدينة بخفي حنين أو القتال وهم قلة أمام جيش مدرب ومستعد للقتال .

وجمع النبي الجميع ليستشيرهم بتواضعه .

وكان قيس والوليد يستمعون للصحابة وهم يشيرون لرسول الله بالتقدم والالتحام وليكن ما يكون، فقد كان الموقف خطير والقلوب يعصف بها القلق ولولا إيمانهم بنصر الله الذي لايخذل من ينصره لهلكوا كمداً.

،وحدث أمر عجيب فرغم صعوبة الموقف أنزل الله النعاس عليهم و شعر الجميع بغلبة النوم فناموا بلا خوف والعدو بالقرب منهم كما قال تعالي{ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) }–الأنفال

ودعا النبي لهم بالنصر وقال يناجي ربه " للّهُمّ هَذِهِ قُرَيْشٌ قَدْ أَقْبَلَتْ بِخُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا، تُحَادُّكَ وَتُكَذِّبُ رَسُولَكَ، اللّهُمّ فَنَصْرُكَ الّذِي وَعَدْتَنِي، اللّهُمّ أَحِنْهِمُ الْغَدَاةَ.."(٥)

والتقي الجيشين عند بئر بدر وبدأت المعركة بمبارزة كعادة العرب قبل القتال كاستعراض للقوة ورفع الروح المعنوية للمنتصر وتبارز عتبة بن ربيعة وأبنه وأخيه شيبة من الكفار مع عبيدة بن الحارث وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب– رضي الله عنهم– وكانت الغلبة للمسلمين وهنا صاح الجميع:الله أكبر...اللله أكبر

وبدأت القتال والفر والكر وحمي وطيس المعركة وكان عم النبي حمزة بن عبد المطلب– رضي الله عنه–يقاتل في هذه المعركة كأمة وحده ويضع علامة علي صدرة عليها ريشة نعامة وكأنما يدعو الكفار لمحاربته وهو يقول ها أنا معروف للجميع هل من مبارز، وكانت شجاعته وفروسيته قدوة للجميع وشارك قيس والوليد بقوة وشجاعة شديدين غير خائفين

---

٥ - ابن هشام: السيرة النبوية، القسم الأول (الجزء الأول والثاني) ص٦٢١.

من الموت لأن القتال في سبيل الله والدين الذي أمنوا به أسمي أمانيهم ، وقد صدم الكفار من هزيمتهم بعد أن غرهم قوهم وعددهم وعدهم بهزيمتهم النكراء بعد أن أيد الله المسلمين بملائكته وعلي رأسهم أمين الوحي جبريل عليهم السلام كما قال تعالي{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)}-الأنفال

وقتل في المعركة من المشركين سبعون رجلاً ومثلهم وقعوا أسري في أيدي المسلمين، ومات منهم أبو جهل وأمية بن خلف وغيرهما من زعمائهم الغلاظ القلوب واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلاً،ستة من

وكم كان حزن الوليد علي رفيقه وصاحبه "قيس بن باح" عندما وجده من ضمن قتلي المسلمين.

تساقطت العيون من مقلتيه وهو يري أثار طعنات السيوف في جسده لقد قاتل بضراوة فهنيئاً لك الشهادة والجنة ياقيس بن رباح.

هنيئا لك ماعند الله وهو خير وأبقي.

ودخل النبي وفرسان الإسلام المدينة سعداء مستبشرين بأمل جديد واستقبلهم أهلها من المهاجرين والانصار بالتهليل والتكبير .

وكان الأمر مختلفاً في مكة وبدأت تتعالي أصوات الأنتقام والتشفي من المسلمين حتي أن الأخبار وصلت المدينة بأنهم منعوا النياحة والبكاء عليهم حتي يأخذوا بثارهم من المسلمين .

******

أبي مات..لا هذا مستحيل .هذا لم يحدث. وأنهار خالد من الصدمة فقد كان أبوه سنده وقدوته في الدنيا وها هو يتركة في لحظة فارقة وهو يخطوا خطواته الاولي .لم يستطيع عقله أن يستوعب الأمر

لم يستطيع أبداً.

وأخذ الوليد يواسيه وقلبه يتمزق حزناً علي أخيه ورفيقه الذي لم تطول صحبته معه في دار الدنيا وأن كان يؤمن بطول صحبته معه في نعيم سرمدي أبدي في جنة الخلد أن شاء الله في الآخرة .

فقال لخالد مشجعا ومواسياً : ياخالد لا تنسي أن أبيك لم يمت كما تظن وأنما غاب عنك إلي حين فكن علي دربه تكن معه!

قال خالد: كيف تقول هذا ياعماه

قال الوليد ألم تقرا قول الله تعالي{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)}-آل عمران

ثم أردف :ألم تسمع ياخالد قول نبينا-صلي الله عليه وسلم- وهو يقول" أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت"([٦])

فأبوك أن شاء الله حي لم يمت قد نال ماعند الله بفضله وكرمه ونحن لاندري كيف هي هذه الحياة ولكننا نؤمن بوعد الله فكن ياخالد علي دربه لعلك تلحق به.

مسح خالد دموعه وهو يقول :نعم .نعم جزاك الله عن نصيحتك خيرا ياعماه.

وأما أمه عندما سمعت الخبر الصادم انهارت وجلست علي الأرض لا تتكلم و لم تقل شيئا فساعدتها ولدة أنس وعاونتها أبنتها شيماء وذهبا بها لحجرتها لتستريح ثم ساعدوها لتجلس علي فراشها وهما لايكفان عن الدعاء والابتهال لله أن يرزقها الصبر علي هذه المصيبة يذكرونها بقول النبي{ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول

{ إنا لله وإنا إليه راجعون }

اللهم أجرني في مصيبتي وأخلف لي خيرا منها إلا أجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها} ونزلت دمعة ساخنة حارة من مقلتيها فالذي لايعرفه أحد أنها لم تكن تبكي عليه فهي مؤمنة بقدر الله وقضائه كما أنه سبقها إلي الجنة بالشهادة التي نالها في سبيل الله تعالي بل يحزنها ويغمها أنه تركها وهي لاتدري اتكون معه زوجة له في الجنة أما أن الله تعالي ختم لها بغير ذلك .دمعت عينيها لفراقه الأب والأخ والزوج والصديق فقد كان

[٦] - جزء من أخرجه مسلم برقم /٣٥٠٠- باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون

قيس لها كل شيء في الحياة وهما علي الشرك وزادت محبتها له وتقديرها وهما علي الإيمان

و.

إنا لله وإنا إليه راجعون

قالتها بعين تدمع وهي تقول والله لن أجد خيرا منه أبداً ولكني راضية بقضاءه وإنا لله وإنا إليه راجعون..إنا لله وإنا إليه راجعون..

ثم مالبثت أن شعرت أن الأرض تدور حولها وتدور فاضجعت علي فراشها واغمضت عيناها وأخذت مخيلتها تذهب بعيدا و لم تعد تشعر بالواقع ومن يحيط بها ثم اغمضت عيناها وعلي شفتها ابتسامة أخذت تتسع وتتسع.

ثم ماهي إلا ساعات حتي تلقي خالد الأختبار الثاني من الله تعالي بلية كانت من شدتها أنه كاد ينهار لولا يقينه برحمة الله وعدله وحكمته التي لا يعلمها المؤمن إلا إذا جلاها له سبحانه وتعالي ولو بعد حين.

كاد أن يهلك ويخسر دينه ودنياه..عندما تلقي خبر وفاة أمه وهي علي فراشها بعد ساعات قليلة من موت أبيه.

وإنهار خالد.إنهار تماماً فالصدمة صارت أكبر من أن يتحملها عقله.

رغم قوة إيمانه ورضاه بقضاء الله وحكمته فهو في النهاية بشر ككل البشر والإنسان مهما كانت قوته وشدته فقد خلقه الله ضعيفا لأنه مخلوق له مشاعر وأحاسيس كما قال تعالي{ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨) }–النساء

و لم يستطيع "خالد" أن يقف علي قدميه ووقع مغشيا عليه بين اسرة الوليد وعيوهم تدمع حسرة وشفقه علي هذا الشاب اليافع الذي صار بين لحظة ليلة وضحاها محروم من الأب والأم معاً.

****

الزواج المبارك

مرت الأيام والشهور وبدا خالد يتأقلم مع وضعه الجديد في بيت الوليد الذي ظل يتمسك بوجوده في بيته فلا عائل له إلا هو وكان يعامله كأبنه أنس بل وربما اكثر.

ورأي "خالد" أحياء عمل ولده- رحمه الله- وظل يكدح في العمل في صناعة السيوف يعاونه انس ويخص الأثنان أوقات أخري للتدريب مع المقاتلين علي فنون القتال كمتطوعين عند الطلب فقد بدأ الحديث عن الجهاد يشاع بين الناس بعد أن بدأت الأنباء تنتشر عن زحف قريش في جيش كبير للثأر لقتلاهم في بدر.

وهنا صارح الوليد خالد برغبة ولده- رحمه الله-ومباركته بزواجه من "شيماء" أبنته التي صارت في الثامنة عشر من عمرها.

وقال له: أسمع ياخالد أنت الآن في مرحلة الشباب وزواجك سكناً لك وراحة وستجد رعاية من أبنتي تعوض عليك بعض مافقدته برحيل والديك ولا اخفي عليك أنني أرغب في وجودك في بيتي ومصاهرتي لتكون أنت وأنس في رعاية ابنتي شيماء فأنا يخالجني شعور لا أدري كنهة أني سألحق بولدك وعندي رغبة شديدة لنيل الشهادة فلا تحبطني فأنس يحتاج لأخ مخلص ورفيق درب مثلك

نظر خالد للوليد نظرة امتنان و لم ينطق بكلمة وكانت دموعه تنساب مع شبح ابتسامة ترتسم علي شفتيه وهو يهز رأسه .

و لم يكن هناك بعد ذلك مايقال.

و لم تأخذ مراسم الزواج إلا أياماً معدودة وأصبح خالد صهراً للوليد وكان اسعد الناس بهذا الزواج أنس فقد صارة خالدا أخيه في الله ورفيق دربه وزوج أخته .

وخصص لهما الوليد حجرة من حجرات منزله الكبير الواسع لأقامتهما .وسعي هو وابنه أنس كي يشعر الزوجين بالراحة والسكينة.

ولكن..

كيف للفارس أن يستريح ويسكن والجهاد يناديه دوماً فقد نادي داعي الله للجهاد بأمر الرسول- صلي الله عليه وسلم- لأن قريش قد خرجت في ثلاثة ألف مقاتل بقيادة أبي سفيان وكان من ضمن فرسان قريش سيدنا خالد بن الوليد الفارس العربي المغوار قبل أن يسلم .

خرجوا علي بكرة أبيهم لقتالنا ومعهم النساء للتشفي والأنتقام والاخذ بثارهم وطردنا من المدينة..

حي علي الجهاد.حي علي الجهاد.

حي علي الجهاد.حي علي الجهاد.

ويبدوا أن المدينة بعد الدعوة للجهاد قد أنقلبت راسا علي عقب.

وترك المقاتلين زوجاتهم وأولادهم وعملهم وأوصوا بأهاليهم خيرا وبدأ تجهيز جيش المسلمين ووصل عدده لألف مقاتل علي استعداد للشهادة في سبيل الله –عز وجل–ومن ضمنهم "الوليد بن الحكم"وتطوع "خالد بن قيس" صهره وأبنه أنس للجهاد بلا تردد.

وكان من ضمنهم أيضا بعض المنافقين من اتباع اليهودي عبد الله بن أبي بن سلول ([7])خرجوا في سبيل الشيطان وحدث منه ما أثار حفيظة المسلمين فقد شق الصف ودعا اتباعه ممن يعتبرونه زعيما من المنافقين امثاله بالعودة بعد انصراف الجيش من المدينة في طريقه للقتال مع المشركين وهو يقول: ماندري علام نقتل أنفسنا هنا أيها الناس؟!

وعاد معه ثلث الجيش– ثلثمائة مقاتل من الألف ونزل فيهم قول الله تعالي {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) }–أل عمران

ولكن هذا التمرد والخيانة لم تضعف حماسة المسلمين بل زادت من اصرارهم علي المضي قدما للدفاع عن الدين والعرض والوطن.

تقدم الجميع بعزيمة لا تلين خلف قائدهم ورسولهم –صلي الله عليه وسلم– وقلوبهم تتمني أحدي الحسنيين الشهادة أو النصر.

الملحمة الكبرى

هناك علي سفح جبل أحد المواجه للمدينة نظم النبي– صلي الله عليه وسلم– قيادة الجيش وعرف كل واحد ماينبغي عمله.

---

[7] – عبد الله بن أبي بن سلول واحد من قادة ورؤساء الخزرج وورد في سيرة النبي – صلى الله عليه و سلم –كشخصية معادية للدين الإسلامي مهادنة ظاهرياً، عرف بأنه كبير المنافقين بالمدينة. وقيل انه كان على وشك أن يكون سيد المدينة قبل أن يصلها الرسول صلى الله عليه و سلم.

وأمر النبي الرماة بالصعود فوق الجبل وشدد علي عدم ترك أماكنهم مهما كان السبب ، ومهما كانت النتيجة.

وبدأت الملحمة الكبرى والتقي الجيشان ودارت المعركة حامية الوطيس وارتفعت أصوات المسلمين بالتكبير الله أكبر.اللله أكبر

الله أكبر..الله أكبر

انطلق الوليد بن الحكم كالثور الهائج يضرب بسيفه كل من يقابله ويناور ويلتف يمنة ويسره وهو يحتمي بدرعه وقتل ثلاثة من المشركين واخترق صفوفهم وتبعه عشرات من المقاتلين من أخوانه المسلمين الذين لم يهابوا الموت فقد باعوا أنفسهم لله تعالي وقد أرتفعت حناجرهم بالتهليل والتكبير

و كان المشركين ذات تمرس فلم يفقدوا تركيزهم وانتشروا واحاطوا بالمسلمين وهجموا بضراوة والتحم رجلا من المشركين مع "الوليد بن الحكم" الذي أخذ يصد ضرباته القوية ويعيدها له بقوة أكبر حتي شعر المشرك بالضعف والرعب معاً وهو يحاول الإفلات من ضربات الوليد المتلاحقة ويصدها بدرعة التي كادت تتحطم وللحظة ا وقعت عين الوليد علي خالد وأبنه أنس الذين كانوا متقاربين هذه يضرب وذاك يحمي ظهره وقد رأي المشركين يفرون منهما .والتقت العيون وابتسم الوليد مشجعا، ولكنه أرتكب خطأ فادح.

لقد غفل لحظة عندما نظر لابنه وخالد

وهذه اللحظة التي غفل فيها كلفته حياته فقد استغلها المشرك الذي يبارزه وطعنه بالسيف في قلبه مباشر،ووقع البطل شهيداً يروي بدمائه الطهارة أرض المعركة.

وارتفع صراخ أنس في لوعة :أبي و تمني لحظة أن يصل لأبيه ويهمس في أذنه كم يحبه.

ولكن كان هذا مستحيل.

صليل السيوف التي تضرب بلا رحمة والرماح والسنام التي تقذف من كل اتجاه جعلت اللحظة التي يتمناها قد تكلفه حياته هو أيضاً ولهذا لم يكن هناك مناص من الانتظار حتي نهاية المعركة لتضح الأمور.

وكانت" معركة أحد" ملحمة وكانت البطولات الفردية عامل حاسم حتي بدأت بوادر النصر،فها هو حمزة بن عبد المطلب– رضي الله عنه–أسد الله وأسد رسوله يهاجم بضراوة

حتي استشهد عندما رماه وحشي بن حرب([٨]) بالحربة غيلة وغدرا خوفا من موجهته من خلف حجر يستتر به، وهاهو سعد بن الربيع-رضي الله عنه-يهاجم حتي وقع شهيدا ، وذاك حنظلة بن عامر الذي خرج في ليلة عرسه وهو جنبًا ليجاهد فوقع شهيدا فغسلته الملائكة، وغيرهم كثير، وبدأ المشركون ينسحبون وتولي قيادتهم "خالد بن الوليد"-رض الله عنه- قبل إسلامه ووضع خطة للفرار بأقل الخسائر.

ولكن .حدث ما لم يكن في الحسبان

لقد خالف الرماة أمر الرسول وعصوه فقد بدأت لهم بشائر النصر قريبة وانكشف ظهر المسلمين،وكانت هذه اعظم هدية لعقلية عسكرية فذه كخالد بن الوليد- رضي الله عنه –الذي استغل ذلك ونظم جيشه وطوق المسلمين وبدأت الكفة تنقلب للمشركين وخرجت إشاعة أن الرسول- صلي الله عليه وسلم قد مات.

وسمع الخبر "خالد وأنس" وأصابهم الإحباط وترك بعض المسلمين سيوفهم ، ولكن "خالد " وغيره سمعوا "انس بن النضر"-رضي الله عنه – الذي أخذ يصيح في المقاتلين وهو يقول: ما تصنعون بالحياة من بعده؟

موتوا علي ما مات عليه ثم دخل لهيب المعركة حتي استشهد وفي جسده أكثر من سبعين ضربة وطعنة.

وكانت كلماته كوقود زادت من لهيب المعركة.

وأخذ خالد ينال من المشركين ويناورهم حتي ارهقهم وكان يستمد شجاعته وهو يتذكر ابيه ووالد أنس الذين استشهدا ، ثم تذكر" أنس" وقلق عليه فقد اخذته شدة المعركة بعيدا عنه واخذ يخترق الصفوف ويضرب يمنه ويسره ووقعت عينيه عليه صريعا تحت أقدام المقاتلين وقد اخترقت حربة صدره ،ولم يستطيع أن يمنع دمعة حارة وساخنة تنزل من مقلتيه وهو يصيح الله أكبر..الله أكبر

والله لاخير في الحياة بعدهم. وأخذ يقاتل في ضراوة.

---

[٨] - هو رجل كان عبداً لا يملك لنفسة شيئاً فقايض حريتة بدم سيد الشهداء حمزة رضى الله عنه ثم هداة الله فامن فغفر لة رسول الله وأستغفر لة فحسن أسلامة و جاهد فى سبيل الله و فى اغلب الأقوال هو قاتل مسيلمة الكذاب و كان يقول أرجو أن تكون هذه بهذه-أي قتله لحمزة – رضي الله عنه-

وبعد التأكد من هزيمة المسلمين وظن المشركين أن النبي قد مات وقد كان كثير من أصحابة المحيطين به تدافع عنه بأستماته كسيدنا طلحة-رضي الله عنه- الشهيد الحي الذي دافع عن النبي حتي استشهد وقد قطعت كفه وفيه بضع وسبعون ضربة بسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم .

وقد استطاع النبي ومن معه من الصحابة أن يشق الطريق إلى جيشه المطوق ، فأقبل إليهم فعرفه كعب بن مالك-رضي الله عنه- ــ وكان أول من عرفه ــ فنادي بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أبشروا ، هذا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

وكان صوته واضحا للقريبون منه ، وسمعه "خالد بن قيس" وصاح في أخوانه:

الرسول حي لا إله إلا الله .لا إله إلا الله

الرسول حي الله أكبر .الله أكبر

واجتمع المقاتلين حوله وأخذ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يدعوهم إلي الانسحاب المنظم إلى شعب الجبل ، وهو يشق طريقه بين المشركين المهاجمين الذين يبغون عرقلة الانسحاب إلا أنهم فشلوا فشلا ذريعا أمام بسالة المسلمين وتضحيتهم.

و لم تفلح محاولتهم في منعهم من الأنسحاب إلى شعب الجبل ، وشق طريقاً أمناً لبقية الجيش ، وفشلت قريش بقيادة خالد بن الوليد من منعهم.

و لم يجد المشركين مايفعلوه وتركوا نسائهم يمثلون بجثث الشهداء في تشفي وأنتقام بقطع الأذان والأنوف وبقر البطون. وعادوا إلي مكة يتباهون بنصرهم

وعندما خلت المعركة منهم عاد النبي وأصحابه ودفنوا شهدائهم وذرفت دموع خالد غزيرة وهو يدفن صاحبه وأخيه في الله تعالي"انس الذي استشهد ولحق بأبيه"

وعاد الجميع إلي المدينة بعد الهزيمة المعنوية التي لقوها فهي هزيمة لاتسمن ولاتغني من جوع لقريش

.نعم كانت هزيمة معنوية فلم يفز الكفار بغنائم و لم يقتلوا النبي ومازال الإسلام قويا ومن ثم ليس عجيبا أن يبدا الجميع الأستعداد لغزوة اخري.

عاد خالد لزوجته بعد أن فقدت الأب والاخ وأصبح هو سندها الوحيد .

وعاد يمارس حياته بين صناعة السيوف والجهاد ليجمع بين الدين والدنيا.

وأخذ خالد ينظر في حنان لزوجته المؤمنة الصابرة التي ظهرت عليها اعراض الحمل وعما قريب سوف يرزقه الله–جلا وعلا– أن شاء بمن يكمل المسيرة بعده إلي نهايتها.

العودة إلي الديار

شارك "خالد" في غزوات أخري كثيرة .

كل غزوة تنقلهم من نصر إلي نصر وتزيد من قوة المسلمين.

و لم يتردد لحظة في القيام بواجبه كفارس من فرسان الإسلام.

وكم كان سعادته عندما تم ميلاد أبنه "انس" تيمناً باسم صاحبه وأخيه وشقيق زوجته ليذكره به دوماً .

وكبر الغلام صار عمره خمس سنوات وكان قرة عين أبيه وأمه.

وكان خالد يحبه حبا جما وتمني قضاء كل وقته معه ولكن لم يكن هذا ممكناً وماكان للفارس أن يستريح ابداً.

كيف وقد أشتري الله من المؤمنيين أنفسهم وهو القائل جل في علاه{ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١١) }–التوبة

وهاهو داعي الجهاد يطلب المسلمين بالنفير العام استعدادا لفتح مكة بأمر النبي– صلي الله عليه وسلم– ومحارية قريش بعد خيانتهم لصلح الحديبة ، ولقد أرسلوا سيد من سادقم وزعيماً من زعمائهم "أبو سفيان" بنفسه وله تاريخ طويل في الحرب ضد المسلمين ، وحاول أن يثني النبي –صلي الله عليه وسلم –ويطيل الهدنة التي نقضوها بخيانتهم لشروط الصلح وأبي النبي و رفض أصحابه التوسط له فلقد عزم النبي– –صلي الله عليه وسلم –علي فتح مكة .

وعاد "أبو سفيان" بالفشل الزريع لقريش و لم يكن هناك مايقدرون عليه وانتظروا في قلق يلتمسوا الأخبار.

******

ودع خالد أبنه وزوجته وأوصاهم بتقوي الله والصبر والرضا بما يكتبه الله لهما.

ثم أخذ سيفه الذي صنعه له أبيه ولبس درعه وأعتلي فرسه ونظر إلي السماء وهو يقول : آن الآون للقاء الأحبة. ثم أنطلق لينضم لجيش المسلمين.
ونظر الفارس "خالد بن قيس" إلي جيش المسلمين بفخر لقد اشتد عوده وزادت قوته وحنكته وعدده وعداته جيش قوامه ١٠ الآف مسلم من المقاتلين الذي لايستهان بهم .
وسار الجيش إلي مكة وعسكر في مكان يقال له"بمر الظهران" وهو غير بعيد عن مكة.
وبدأت الاخبار تنتشر بأن رسول الله –صلي الله عليه وسلم- يقترب من مكة فخرج "أبو سفيان " يتجسس ولكن أمره أنكشف وأخذوه للرسول الذي دعاه للإسلام ولم يكن هناك مفر من ذلك فقد أنتهت قريش وضعفت وأعطاه النبي الآمان لمن دخل داره ولمن دخل المسجد الحرام ولمن ظل في بيته ثم أمره بالعودة وأخبار قريش بعزمه علي دخولها، فعاد وهو يصيح يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم فيما لا قيل لكم به فتفرق الناس يلتمسون الأمان فيما رخص النبي–صلي الله عليه وسلم- به خوفاً علي حياتهم.
. وتقدم الجيش ولم يجد المسلمين مقاومة تذكر إلا بعض المناوشات هنا وهناك .
وودخل النبي–صلي الله عليه وسلم- المسجد الحرام وحطم الأصنام التي كان يمتلي بها ثلاثمائة وستون صنما وهو يقول قوله تعالي: { وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)}-الإسراء
ودخل الناس في دين الله أفواجا.
وصيحات الله أكبر.الله أكبر.تدوي في كل مكان
****

ثم جاءت لحظة العودة للديار والعشيرة .
عاد "خالد" إلي المدينة وأخذ زوجته وأبنه وعاد إلي مكة مرفوع الرأس وهاهو يسير في شوارعها التي يحفظها عن ظهر قلب مع زوجته وأبنه الذي لغ عمره خمس سنوات.
تنهد "خالد" وهو يبتسم لزوجته ويحدث أبنه البكر:
:هنا كانت معاركه مع فتيان قبيلتة في طفولته ، وهنا كان يستمع للنبي –صلي الله عليه وسلم–وهو يحدثهم عن التوحيد حتي مست كلماته شغاف قلبه.
و هنا..

توقف وقد زرفت عيناه بدمعة لم يستطيع أن يمنعها .
فأمامه مباشر بيته وداره الذي ترعرع بين حيطانه والذي عبد فيه أصنام صماء لا تنفع ولا تضر هو وأمه وأبيه ثم كان ماكان من رحمة الله وكرمه بعد أن هداهم للإسلام.
لم يتغير فيه شيئاً البته وكأنما تركه بالأمس.
دخله ومعه زوجته وأبنه ليبدأ حياة جديدة بعد رحلة كفاح شاقة مضنية.
والحياة لاتتوقف بموت أحد ابداَ بل تستمر جيلاً بعد جيل.
وحياته وولده من بعده كما يأمل فداء لدينه الذي ضحي من أجله بكل شيء
ولا إله إلا الله محمدا رسول الله ستظل في أعماق قلبه وأعماق القلوب المؤمنة بها مهما طال الزمان، وستظل كذلك دوماً.
إلي أن يرث الله الأرض ومن عليها.

تمت بحمد الله